سياسة الانتداب وتكريس التجزئة باقامة الكيانات المصطنعة في اجزاء الوطن العربي

كانت بريطانيا تعمل بغية سلخ ولاية الموصل من منطقة الاحتلال الفرنسي، كما اقرت ذلك اتفاقية سايكس- بيكو، لذا حاولت عرقلة السيطرة الفرنسية على سوريا ولبنان الا بعد ان ،نمنت موافقتها على ذلك التعديل الذي يضع الموصل بما فيها من ثروات نفطية هائلة تحت السيطرة البريطانية، ويطلق يد فرنسا كاملة في سوريا ولبنان، ويضع العراق كله تحت الانتداب البريطاني كما اقر ذلك مؤتمر سان ريمو.

ابتدع (نظام الانتداب) mandate system حاكم جنوب افريقيا الانجليزي الجنرال سمطس، والهدف منه وضع الاقاليم الخاضعة للدول المنهزمة في الحرب العالمية الاولى تحت سيطرة واستعمار الدول المنتصرة تحت زعم ادارتها والاشراف عليها حتى تصل الى درجة من القدرة والقابلية لتدبير شؤونها بنفسها. اي انه في حقيقة امره ليس الا صورة مزوقة للاستعمار بكل اهدافه الخبيثة. وقد صنفت الاقاليم المستعمرة بحسب درجة رقيها الى ثلاثة اصناف: أ،ب،ج فوضعت البلدان العربية التي كانت تحت هيمنة الاحتلال العثماني تحت الصنف أ بوصفها اكثر تطوراً اذا ما قورنت بالمستعمرات الاخرى التابعة لالمانيا او غيرها من الدول المنهزمة. وقد ظل العمل بهذا النظام قائماً دولياً حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية حين حل محله نظام الوصاية باشراف هيئة الامم المتحدة.

لقد ادى نظام الانتداب الى تكريس التجزئة التي جاءت بها اتفاقية سايكس- بيكو ووعد بلفور، فكانت مقررات مؤتمر سان ريمو الخاصة بالانتداب تمثل اصرار الدول الاستعمارية على تمزيق وحدة الارض العربية والشعب العربي استشعارا منها بالخطر الذي تشكله الوحدة العربية على مصالحها الاستعمارية في منطقتنا العربية، لذا فلا غرابة في ان نجد المستعمرين يحاربون الوحدة العربية ويكيدون لها،

من هنا يتضح ان الهدف الاساس من نظام الانتداب هو ليس كما ادعى

المستعمرون بل هو تكريس التجزئة واذكاء لسموم التفرقة الدينية والطائفية والعنصرية والاقليمية للحيلولة دون وحدة الارض العربية والأمة العربية لما يسببه ذلك من مخاطر على المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية.

ولا بد من ان نوضح اخيراً ان بلدان المغرب العربي، تونس، والجزائر، ومراكش وكذلك ليبيا قد بقيت خلال الحرب العالمية الاولى تحت السيطرة الاوربية .

صدر الوعد المشؤوم يوم ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م بدعم وتأييد من الدول الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة برئاسة ولسن الذي انكر بفعله هذا بنوده الاربعة عشر ومن بينها حق تقرير المصير، وبالفعل لم تصدر الحكومة البريطانية الوعد رسمياً الا بعد وصول برقية من ولسن ارسلها باسمه ونيابة عنه الكولونيل هاوزمن وزير الخارجية الامريكية في ١٦ تشرين الاول ١٩١٧م موجهة الى وزارة الحرب البريطانية يعلمها بموافقة الرئيس والحكومة الامريكية على نص التصريح وعلى اصداره باسم بريطانيا. كما أيدته الحكومة الفرنسية علناً في ١٤ شباط ١٩١٨م ، ثم اعقبتها في تأييده، الحكومة الايطالية في ٩ مايس ١٩١٨م .

نص تصريح بلفور على «ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على ان يفهم جلياً انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى».

دوافع صدور وعد بلفور:-

١- الحيلولة دون قيام الوحدة العربية لما يسببه قيامها من مخاطر على المصالح الاستعمارية.

٢- استخدام الكيان الصهيوني كمركز دفاع عن المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية وما يجاورها باتخاذها رأس رمح ضد حركة التحرر العربية الصاعدة.

٣- لضمان بقاء الروس الى جنب بريطانيا والحلفاء في الحرب عن طريق تأثير اليهود الروس في الحكومة الروسية السوفيتية الا ان هذا العمل فقد قيمته بعد قيام السوفيت بعقد الهدنة مع المانيا.

٤- الاسراع في كسب دعم اليهود في الولايات المتحدة وغيرها خاصة دعمهم المالي، سيما وان الزعماء الصهاينة قد اوحوا بذلك خشية ان تسبق بريطانيا في ذلك احدى دول الوسط فيصبح اليهود مع الوسط ضد الحلفاء. وقد صدر بالفعل وعد من طلعت باشا رئيس الوزراء العثماني وقتئذ بعد حوالي الشهرين من صدور وعد بلفور. وقد جاء فيه «ان جميع اماني اليهود المشروعة في فلسطين يمكن ان تنفذ». الا ان هذا الوعد الذي هو اقل تحديداً من تصريح بلفور ضاع في زحمة الاحداث خاصة

بعد وقوع فلسطين تحت الاحتلال البريطاني.

٥- تنمية وتقوية التجارة البريطانية في ثلاث قارات عن طريق السيطرة على نقطة الالتقاء بين هذه القارات.

٦- استخدام الكيان الصهيوني لحماية المصالح الاستعمارية البريطانية في قناة السويس وقد تعهد زعماء الحركة الصهيونية بذلك للحكومة البريطانية واقطابها.

٧- اتمام السيطرة البريطانية على الطريق البري الممتد من الخليج العربي حتى البحر المتوسط للمحافظة على المصالح البريطانية في الخليج العربي والمحيط الهندي والهند.

٨- الجهود الكبيرة التي قام بها الزعماء الصهاينة خاصة حاييم وايزمن وسوكولوف في التأثير على كبار الساسة البريطانيين حملهم على التعاطف مع الحركة الصهيونية لدوافع متعددة على رأسها ولا شك المطامع الاستعمارية في التوسع والسيطرة على منطقتنا العربية وتمزيق وحدتها القومية.

٩- ايجاد نوع جديد من الاستعمار الاستيطاني بدلاً من الاستعمار العسكري السافر.

١٠- انتماء الحركة الصهيونية للقارة الاوربية اتاح لها الفرصة للربط بينها وبين حركة التوسع الاوربي التي كانت كل دولة تمارسها لحسابها الخاص، مما اتاح الظروف للتلاقي بين الاهداف الصهيونية والاهداف الاستعمارية رغم ان الذريعة العلنية لهذا التلاقي في شكل تصريح بلفور كانت بزعم انقاذ اليهود من الاضطهاد الذي يعاونونه!!؟

الانتداب البريطاني على فلسطين ودوره في اقامة الكيان الصهيوني:

ما ان احتلت القوات البريطانية القدس في كانون الاول ١٩١٧م حتى وضعت كل فلسطين تحت ادارة عسكرية لها مدير يقيم في القدس حملت اسم «الادارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة». وكان مديرها يخضع للورد اللنبي. والغيت هذه الادارة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠م وحلت محلها ادارة مدنية اعتباراً من ١ تموز ١٩٢٠م بقصد تطبيق نظام الانتداب. وعين هربرت صموئيل السياسي البريطاني اليهودي الصهيوني مندوباً في فلسطين.

تأسيس الكيانات السياسية الاقليمية

ان الظاهرة البارزة التي شهدها الوطن العربي في اعقاب الحرب العالمية الاولى . هي تأسيس بعض الكيانات السياسية الاقليمية وابرزها مملكة الحجاز (١٩١٦– ١٩٢٥). والمملكة السورية المتحدة . والمملكة العراقية والمملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية الهاشمية . والمملكة المتوكلية اليمنية .

مملكة الحجاز (١٩١٦– ١٩٢٥)

اشرنا فيما سبق الى ثورة الشريف حسين التي بدأت في ١٠ حزيران ١٩١٦ وأنهت الحكم العثماني في الحجاز من الناحية العملية . وقد اتجهت جهود الشريف حسين في الشهور التالية الى اعادة الكيان السياسي العربي . واقرار شكل الحكم الذي ستسير عليه الدولة الجديدة ، والتي تعد اول دولة عربية مستقلة تؤسس في القرن العشرين .

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩١٦ اجتمع بعض اعيان الحجاز وذلك للنظر في اقتراح قدمه الامير عبد الله بن الحسين ويقوم على مبايعة الحسين « ملكاً على البلاد العربية » . وقد تحقق ذلك في الاجتماع نفسه . فجرت مراسيم البيعة الخاصة . حيث قام الشيخ عبد الله مرداد بقراءة كتاب البيعة الذي تسلمه من الشيخ عبد الله سراج نائب رئيس الوزراء امام الحسين والشخصيات التي حضرت المناسبة . وقد القى الحسين كلمة بين الحاضرين بعد البيعة اكد فيها بذل الجهود لادارة البلاد والاقتداء بالقرآن الكريم والسنة النبوية طريقاً لحكم البلاد . ويذكر جورج انطونيوس في كتابه « يقظة العرب » ان الامير عبد الله طير نبأ بيعة الملك حسين الى الحكومات المتحالفة والمحايدة . بصفته وزيراً للخارجية ، طالبا منها الاعتراف بهذا اللقب الجديد للشريف حسين لكن الحلفاء اعترضوا على التسمية ، وابلغوا الملك حسين في الثالث من كانون الثاني ١٩١٧ . أنهم يعدونه « ملكا على الحجاز فقط » .

وفي ٦ تشرين الثاني ١٩١٦ تمت البيعة العامة للملك حسين في حرم مكة . وسط حشود من اهالي مكة والوفود التي حضرت من مختلف المدن الحجازية . واتبعت المراسيم الخاصة بالبيعة العامة أمام الناس . اقبل بعدها الشيخ سراج على الشريف حسين وسلمه كتاب البيعة مصافحا اياه اشارة لمبايعته . ليتبعه الحاضرون في مصافحة الملك الجديد .

ويشير الدكتور طالب محمد وهيم في كتابه « مملكة الحجاز » ان قيام المملكة رافقته بعض سمات الدول المستقلة ومن ذلك اتخاذ علم ذي ألوان ثلاثة هي الابيض والاخضر والأسود مع مثلث احمر يتصل باطراف الالوان الثلاثة . وهو العلم الذي سبق ان اشرنا اليه حين حديثنا عن الجمعيات العربية القومية كالمنتدى الادبي . كما عمد الحسين الى ايجاد عملة حجازية وامر بتأسيس دار لضرب النقود . ورافق قيام المملكة اصدار جريدة رسمية في مكة المكرمة باسم « القبلة » برز عددها الاول في ١٥ آب ١٩١٦

وكان يشرف عليها الملك حسين بنفسه . وقد لعبت الجريدة التي استمر صدورها حتى ١٩٢٤ دوراً كبيراً في نشر اخبار الثورة العربية والدعوة الى مبادئها القومية .

تشكلت الحكومة الحجازية الاولى في ٥ تشرين الاول ١٩١٦ من الوزراء التاليـة اسماؤهم .

الامير علي رئيساً للوكلاء (الوزراء) .
الشيخ عبد الله سراج نائبا لرئيس الوكلاء وقاضياً للقضاة
الامير فيصل وزيراً للداخلية .
الامير عبد الله وزيراً للخارجية
عزيز علي المصري وزيراً للحربية
علي المالكي وزيراً للمعارف
الشيخ يوسف بن سالم وزيراً للنافعة (الاشغال والمواصلات)
محمد امين وزيراً للاوقاف
احمد عبد الرحمن باناجه وزيرا للمالية
الشيخ عبد القادر عزاوي وزيرا للبرق والبريد
الدكتور نديم وزيراً للصحة .

اما السلطة التشريعية ، فقد تمثلت بمجلس الشيوخ الاعلى الذي تألف في نفس اليوم الذي شكلت فيه الوزارة . ومهمته « النظر في كل مايتعلق بمصالح البلاد ومراقبة اعمال الدوائر الرسمية ... وتدقيق اللوائح القانونية المقدمة من قبل الحكومة ، واصدار قرار بشأن صلاحيتها . ويلحظ الدكتور طالب محمد وهيم في كتابه المشار اليه آنفاً والذي كرسه لدراسة مملكة الحجاز ان اعضاء هذا المجلس كانوا يعينون من قبل الملك حسين نفسه . وان المملكة اعتمدت في تطبيقها للقوانين على نظام قضائي يستند الى الشريعة الاسلامية .

حاولت بريطانيا ربط الحجاز بمعاهدة معها مرتين . كانت الاولى سنة ١٩٢١ . اما الثانية فقامت في سنة ١٩٢٣ الا انها اخفقت ويرجع ذلك الى استياء الملك حسين من بريطانيا بسبب وعودها المتناقضة وفي مقدمتها اتفاقية سايكس — بيكو ووعد بلفور . ومع ان الحكومة البريطانية حاولت معالجة ذلك بتأكيدها على عزمها في اتاحة الفرصة الكاملة امام العرب لاستعادة كيانهم السياسي واتحادهم مع بعضهم مع استعدادها لاسناد ذلك . الا ان الملك حسين . لم يقتنع بالتأكيدات البريطانية . واخذ يعرب عن مخاوفه من موقف بريطانيا من النزاع الهاشمي — السعودي وتشجيعها لسلطان نجد عبد العزيز آل السعود ورغبتها في تجنب اثارته في نزاعه مع الملك حسين حول مشاكل الحدود بين نجد والحجاز ، وحين استولى النجديون على الطائف ، تخلى الانكليز عن الحسين ، فتنازل عن العرش في ٣ تشرين الاول ١٩٢٤ لابنه الملك علي الذي حاول اقناع بريطانيا باستمرار دعمها لمملكة الحجاز . وتعهده بعقد معاهدة معها ، لكنها تيقنت من اشراف المملكة على الانهيار . فاستكملت خطواتها في التخلي عنها حين اعلنت تجنب التدخل في النزاع بين الهاشميين والسعوديين . ولم تطل اقامة الملك علي في مكة لاكثر من اسبوع بعد اتمام مراسيم بيعته ، اذا اضطر الى اخلائها والانتقال الى جدة . بعد وصول القوات السعودية الى منطقة الزيمة القريبة من مكة . ولم يكن مع الملك علي اكثر من ٢٠٠ — ٣٠٠ مقاتل . وفي ١٦ تشرين الاول دخل السعوديون مكة بقيادة خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد .

في ٨ كانون الاول ١٩٢٤ اصدر عبد العزيز بن سعود بياناً لاهالي مكة وضواحيها بين فيه هدفه الذي دفعه للسيطرة على الحجاز ، والمتمثل بنصرة الدين ، ودفع العداء الذي كان يكيده له الحسين ، وعزمه على اقامة العدل ونصرة الضعيف . وبالرغم من قيام بعض المحاولات للوساطة الشخصية بين الهاشميين والسعوديين لوقف القتال وترك الحجاز لاهله ، الا ان عبد العزيز بن سعود أقر في ٢ كانون الثاني ١٩٢٥ خطة الهجوم على جدة . فحدثت المواجهة المباشرة بين المعسكريين في اذار ١٩٢٥ في معركة لم تدم اكثر من ساعات . واثر ذلك اضطر الملك علي ان يوسط القنصل البريطاني السير ريدر بولارد لانهاء

حالة القتال والتسليم لابن سعود بالامر الواقع في ١٥ كانون الاول ١٩٢٥ . وفي ١٧ كانون الاول تم الاتفاق على الشروط التي تقدم بها الملك علي لتسليم عاصمته وابرزها ضمان ابن سعود لسلامة اهالي جدة وتعهده بمنح العفو العام وتسفير الضباط والجنود الراغبين في العودة الى اوطانهم ان رغبوا وفي ٢٢ كانون الاول غادر الملك علي جدة متوجها الى العراق ليستقر الى جانب اخيه الملك فيصل . وبعد يومين دخل ابن سعود جدة لينهي بذلك اول دولة عربية مستقلة انشأها العرب بعد تخلصهم من النير العثماني ،